المحاضرة 15: الاستراتيجية التضامنية:

- **تعريف الاستراتيجية التّضامنية:**

تتوزّع العلاقات بين النّاس كما سبق وأشرنا على محورين عمودي وأفقي، إذ يعبّر العمودي على سلّم تتراتبي بين الناس من خلال الوظائف التي يشغلونها داخل المجتمع، وهو محور السّلطة، أمّا الأفقي فيدلّ على العلاقات التضامنية التي تمثّل الخصائص المميّزة لكلّ فرد من هؤلاء الأفراد، إذ يحكم اختيار هذه الاستراتيجية قصد المرسل وهدفه من الخطاب، وعموما فإنّ المرسل يستعمل الاستراتيجية التّضامنية إذا تنازل عن سلطته إن كان أعلى رتبة، أمّا إذا لم يتنازل عنها فإنّها يلجأ إلى التّوجيه باستعمال صيغ لغوية أخرى مثل الأمر والنّهي، إذ يحضر مبدأ التأدّب ليعبّر على العلاقة بين طرفي التخاطب، إذ "يأتي المتكلّم بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالته القريبة ويقوّي أسباب الانتفاع العاجل به، فلا يخفى أنّ هذا الضّرب من التّهذيب يولي الأهمية التخاطب لعملية التّبادل، ومعلوم أنّ كلّ تبادل بين طرفين يكون مبناه أساسا على سعي منهما إلى تحقيق أغراض تكون مشتركة و متساوية بينهما، لذلك تجد المتكلّم في هذه المرتبة من التعامل حريصا على أن يحفظ التواصل، حتى يجلب ما يمكن من عاجل المنفعة لنفسه ومخاطبه".[1]

ولاختيار هذه الاستراتيجية عدّة مسوّغات تدفع المرسل إلى انتقاء العلامات اللّغوية التي تخدم هدف خطابه.

مسوغات الاستراتيجية التّضامنية:

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 223.

إنّ ما يدفع المرسل إلى اختيار الاستراتيجية التّضامنية هو القصد من خطابه والهدف من إنتاجه، فيسعى من خلاله إلى المحافظة على علاقته مع المرسل إليه، أوّ يعبّر من خلالها على تنازله عن سلطته في سبيل هذه العلاقة، ويمكن تحديد مسوغاتها في:

- "تأسيس الصّداقة بين طرفي الخطاب، أو إعادتها بين طرفين فرّق بينهما الزّمن فابتعدا كثيرا عن بعضهما البعض، أو تمرير العلاقة بين طرفين لهما علاقة قائمة.
- التّركيز على حسن التّعامل مع صاحب السّلطة بطريقة تحقّق الأهداف وتنقل المقاصد وتؤسّس العلاقات الطّيبة معه أو تبقي عليها.
- تحسين صورة المرسل أمام الآخرين إذا كان معروفا بالتّشدّد في آرائه، أو التّسلّط في تعامله، أو توخي الطّريقة الرسمية والجفاء في خطابه.
- تفعيل التضامن في حياة الناس، بما ينعكس على التفاعل الخطابي، وتطوير حقّهم في ممارسة الحياة بحريّة مع تقليص دور السّلطة.
- أهميّة استعمالها في العملية التّعليمية حيث يكون التّأدّب حاضرا في الخطاب مع الطّالب وسيلة تيسر الفهم، فتصبح طريقا للعلم وسبيلا إلى المعرفة.

- كسب ولاء الناس من الأهداف التي يسعى السياسيون إلى تحقيقها، لجعلهم يؤمنون بالقرارات التي اتخذها..."[2]

وهناك عدّة دوافع أخرى تجل المرسل يختار هذه الاستراتيجية من أجل تحقيق هدفه من الخطاب.

<u>الأدوات اللّغوية في الاستراتيجية التّضامنية:</u>

1-<u>الإسم الأوّل:</u>

[2] ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 262.

يستعمل المرسل الاسم الأوّل في حديثه مع المرسل إليه ليبيّن درجة التّضامن معه، وذلك في :

- "إذا كان المرسل أعلى من المرسل إليه مرتبة، ولديه استعداد لمحو ذلك التّراتب.
- إذا كانا متساويين في عنصر أو أكثر من العناصر السابقة، السن أو الوظيفة.

ويستعمل المرسل اسم المرسل إليه الأول في الخطاب لدلالات منها قربه منه إمّا قربا ماديا أو عاطفيا وقد لا يكون القرب موجودا من قبل ولكنّه حصل مع مرور الوقت وتنامي التعامل بين طرفي التخاطب".[3]

فاستعمال المرسل لاسم المرسل إليه يدلّ على تنازله عن سلطته إن كان أعلى رتبة منه، وهو ما يشعره بالارتياح ويعطيه انطباعا أنّ العلاقة بينهما حميمية..

2-الكنية:

رغم أن استعمال المرسل للاسم الأوّل يدلّ أكثر من استعمال الكنية على التضامن بين طرفي الخطاب، إلا أن الكنية أيضا قد تشعر المرسل إليه بالودّ في الخطاب، وذلك أنّها قد تقع على "التعظيم والتفخيم، وهو أن يعظّم الرّجل، وكأن يدعى على اسم ولده صيانة لاسمه ..."[4].

وقد يكنّى الرجل على صفة حسنة يحبّها تدعو على التفاؤل مثلا، وهو ما يحبّ مناداته به مما يعزّز العلاقة بينه وبين مخاطبيه ويقوّي درجة التضامن بينهم.

3-اللقب:

---

[3] المرجع نفسه، ص 270.

[4] المبرد أبو عباس، الكامل، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1409هـ، ج2، ص 10.

ويقصد باللقب هنا الصفّة التي يتمتّع بها المرسل إليه إن كان المرسل لا يعرف اسمه أو كنيته مثلا: عزيزي المشاهد، القارئ، المستمع... "إذ يكثر استعمال هذا اللقب في وسائل الإعلام كمؤشّر على تضامنها مع المرسل إليه، أو في خطابات النصح مثل إداراة المرور أو في الدعوة إلى الله مثل: أيها الرجل الصالح، عزيزي المواطن، السيد الرئيس صاحب المعالي... إلى الإخوة ضباط الجيش...".[5]

وعليه يغدو استعمال هذه الألقاب دلالة على التضامن بين المتخاطبين، وسعيهم إلى المحافظة على علاقاتهم.

4-ألفاظ المعجم:

يمكن اعتبار بعض الألفاظ في المعاجم اللغوية معبّر عن التضامن أيضا، وذلك مثل " مبروك، أهنئك، إذ تدلّ هذه التهنئة غبى التضامن بالرغم من أنه لم يظهر في الخطاب أي من علاماته، وكذلك بعض الاختيارات المعجمعية التي تتجلّى في قوالب صرفية متعدّدة مثل (خدم) في خطاب أحد السلاطين: أما أنا فإنني بينكم أحد رجال الدّولة الذين يخدمونكم بأمانة وإخلاص، أو مثل/ خادمكم فلان، خدامكم في أي وقت، وكذلك تحيات المرسل عند لقاء المرسل إليه: ما أجمل أن ألقاك، أهلا وسهلا، وألفاظ التأييد والصداقة، صديقي، أصدقاؤنا..."[6]

فهذه العبارات التي ينتقيها المتكلم من معجمه اللّغوي تدلّ على علاقته بالمرسل إليه، أو بفرحة لقائه والترحيب به، وتعبّر عن الودّ بينهما، أو يبين من خلالها أنه يسعى إلى المحافظة على هذه العلاقة.

---

[5] ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 276.

[6] ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 286.

ومن الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل في تضامنه مع المرسل إليه الإشاريات مثل/ ضمائر الرفع المنفصلة: أنت/ أنت/ أنتما/ نحن... وضمائر الرفع المتصلة، فقد يستعملها المرسل للدلالة على قصده، ومن الممكن أن "يختارها في التفاعل لأسباب تتجاوز التصنيفات والمستوى الصوري، فتعمل كأدوات تعكس المظاهر المتنوعة لسلوك المرسل، أو الوضع الاجتماعي أو الجنس والدّوافع..."[7] وذلك مثل: أنت صديقتي المفضلة، نحن إخوة، أنتم أهلي وأحبابي، نحن ندرك مشقة السّفر...، ومن أمثلة ضمائر الرفع المتصلة: في قول المتكلّم (الأستاذ) والطالب مثلا: بحثنا، يعترف فيه بمشاركة المرسل إليه وهو الطالب في البحث ويقرّ التضامن معه، ذوقك يهمنا، دعونا نستمع إلى الدرس...

1-آليات الاستراتيجية التضامنية:

أ- المكاشفة:

وهي أن يكشف المرسل عن اسمه في حديثه مع المرسل إليه، أو الكشف عن خصوصياته أو أسراره كدليل على ثقته به، أو يطلعه على كلّ شيء يخصّه.

ب- **نكران الذّات:** وذلك في مثل قول المرسل هذا ليس عملي وإنها جهد الجميع.

ج- **الإعجاب:** إذ يدلّ الاعجاب على استحسان سلوك معين صدر من المرسل إليه، أو والإعجاب بشيء يخصّه، مثل: ما أجمله، ما أحسنه، ما شاء الله، تبارك الله...

وهناك عدّ آليات أخرى يستعملها المرسل في الاستراتيجية التضامنية مثل: التصغير: ولدي وليدي، والمداعبة، والمهنة وذكر خصائص المرسل إليه... إلى غير ذلك من العبارات التي ينتقيها المرسل ليبين درجة قربه من المرسل إليه.

---

[7] جيرار دولودال، التحليل السيميوطيقي للنص الشعري، تر: عبد الرحمن بو علي، مطلعة المعارف الجديدة، ط1، 1994، ص 31.

لمّا كانت السلطة هي التي تؤثّر في اختيار الاستراتيجية الخطابية، فإن تنازل المرسل عنها دلالة على تضامنه مع المرسل إليه، أمّا استعمالها فيعطيه الصلاحيات لتوجيهه إلى سلوك معين، أو نهيه عنه.